العسكري والدعم الأميركي الكبير وحالة التمزق العربي. وقد ساهم تقصير الأطراف التي تصدت للعدوان، بحدود معينة، في تعميق آثار العدوان. ولم يكن من الممكن ايقاف العدوان الاسرائيلي وحجمه، في الظروف التي حدث فيها، إلا بمساهمة سوفياتية مباشرة في القتال. وهنا، يجب الأخذ في الاعتبار مسألتين هامتين: الأولى، ان أياً من القوى التي تملك وضعاً قانونياً يؤهلها لطلب المساعدة العسكرية السوفياتية اثر الشرة لم تتقدم إلى الاتحاد السوفياتي بمثل هذا الطلب؛ والثانية، ان الحرص على عدم تحول اي مواجهة اقليمية إلى مواجهة عالمية، سيكون كارثية بالضرورة، يجب أن يحكم اي طلب من هذا القبيل. فالسلام العالمي، مهما كانت المآسي الاقليمية، هو شيء لا يمكن، بأي حال من الأحوال، التفريط به.

إن التساؤل الذي طرحته الكاتبة، في بداية دراستها، حول مدى تطابق السياسة السوفياتية تجاه القضية الفلسطينية مع المنطلقات الايديولوجية وإلى أي مدى تحرك المصالح الذاتية هذه السياسة في المضمار نفسه، قد اوقعها في الكثير من الأخطاء واوصلها إلى استنتاجات متناقضة ولامنطقية. فهي حاولت أن تلبس «الايديولوجيا» أو «المنطق الثوري»، كما تقول، لباساً طوباوياً ليس له أي صلة بالواقع. وعندما لم تستطع أن تفهم فروض «المنطق الثوري» الحقيقي والواقعي تجاه التطورات المختلفة البسته لباس «المصالح الذاتية»، ووضعته في تناقض مع الأول. وبما أن الكاتبة لم تحدد اي مقاييس «للمنطق الثوري» الذي تكلمت عنه، فقد صنفت المواقف السوفياتية خبط عشواء بين الموقفين. مثال ذلك ما اوردته في أماكن عديدة من أن «المصلحة الذاتية» السوفياتية كانت تقتضي في اثناء فترات «الذروة» في الصراع (حزيران ـ يونيو ١٩٦٧، تشرين الأول ـ اكتوبر ١٩٧٣، صيف ١٩٨٢) عدم دفع الأمور بما يؤدي إلى مواجهة مباشرة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، «لا يعرف احد كيف يمكن ضبطها او التنبؤ بنتائجها» ـ على حد تعبيرها ـ. لكن الكاتبة لم تذكر لنا ماذا كان يقتضيه «المنطق الثوري».

والمسألة الأخرى التي تكررت في أماكن مختلفة من الدراسة هي شماعة «التقصير السوفياتي» التي علقت عليها الكاتبة جميع الهزائم والنكسات التي مني بها العرب والفلسطينيون منذ العام ١٩٤٧ وحتى الآن. وهذه النغمة ليست غريبة على اسماعنا. فقد سمعناها من جميع اولئك الذين حاولوا طمس الأسباب الحقيقية وراء هزائمهم ونكساتهم وجعلوا من الاتحاد السوفياتي كبش الفداء. لكن ما اصبح معروفاً ايضاً، بشكل ساطع، وتزكيه التجارب المتلاحقة، هو ان التشكيك بالدعم السوفياتي وبالمواقف السوفياتية لم يقتصر، فقط، على تبرير الهزائم، بل اصبح مقدمات للانحراف عن خط النضال الوطني والقومي، وفي افضل الاحوال، تبريراً لاستمرار التقاعس عن اداء الواجب القومي.

عبد الرحيم شطناوي

---

(١) برندا ريفكي ـ سياستان ازاء العالم العربي، موسكو: دار التقدم، ١٩٧٥، ص ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

(٥) **تاريخ الاقطار العربية المعاصر** (مجموعة من العلماء السوفيات ـ اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ـ معهد الاستشراق)، موسكو: دار التقدم، ١٩٧٥، ص ٢٣٤.

(٦) Demetriev, Yevgeni; *The Tragedy of the Palestinian People*; Moscow: Nauka Press Agency Publishing House, 1984. p. 71.

(٧) Budeir, Musa; *The Palestine Communist Party 1919 - 1948*, London: Ithaca Press, 1979, p.173.

(٨) ستيفن غرين، **الانحياز ـ علاقات اميركا السرية باسرائيل**، ترجمة وتعريب مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤، ص ٢٧٨.

(٩) Demetriev, Yevgeni; *op. cit.*, p. 73.

(١٠) رفعت ابو عون، «الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥»، **شؤون فلسطينية** (بيروت)، العدد ٤٦ ـ ٤٢، كانون الثاني/شباط (يناير/فبراير)